الجهاد بالمال في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية

أ.د. محمّد كاظم حسين الفتلاوي

جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة

Jihad with money in the Holy Quran

An explanatory study

Prof.Dr. Mohammad.Kazem. ALFatlawy

College of Mixed Education / University of Kufa

Email : mohamadk323@gmail.com

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الاقتصاد ركيزة مهمة ومؤثرة على الفرد والمجتمع، فكان إن أقامت تعاليم الشرع المقدس التوازن الاقتصادي بين مصلحتي الفرد والجماعة على أسس من العدل، وحسبما تقتضي المصلحة.

والجهاد بالمال وإنفاقه دليل على صدق الإيمان، لأن الإيمان حينما يتمكن من النفس البشرية يسمو بالنفس ويعلو بالهمة وحينما تكون النفوس عظيمة تعلو بالإنسان على ماديته الحيوانية إلى الروحانية الصافية التي ترقى به من الفردية والأنانية إلى الشعور بالآخرين والإيثار، ومن ثم مشاركتهم آلامهم بالبذل والإنفاق، حتى تصل إلى مرحلة التضحية والفداء.

وغاية هذا البحث هو بث روح البذل والعطاء ومحاربة النفس الشحيحة ومجاهدتها، مستنيراً بما تضمنته آيات الذكر الحكيم وسنة المعصوم ، بعيداً عن الجزئيات والتفصيلات الفقهية مكتفياً بالمأثور من كلام المفسرين، فكانت خطته من ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مكانة (الجهاد والمال) في القرآن الكريم، والمطلب الثاني: أهمية المال في القرآن الكريم، والمطلب الثالث: أهمية الجهاد بالمال في القرآن الكريم، وخاتمة وقائمة بالمصادر.

الكلمات المفتاحية : الجهاد ، المال ، القرآن ، التفسير .

Abstract

jihad with money is evidence of the sincerity of faith because faith when it is empowered by the human soul exalts the soul and overcomes inspiration and when the souls are great the person is elevated over his animal materialism to pure spirituality that elevates him from individualism to feeling with others to sharing their sufferings sacrifice and spending then altruism until it reaches To the stage of sacrifice and redemption.

The research plan consists of three demands the first one: the status of (jihad and money) in the Holy Qura'n the second one: about the importance of money in the Holy Qura'n and the third one: it was about the importance of jihad with money in the Holy Qura'n and a conclusion and a list of sources.

Keywords : jihad, money, Quran, interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

دأب الناس على اعتبار أن واجب إنفاق المال هو أحد أدوار الأغنياء وحسب ولكن المتدبر يرى انَّ هذا الدور الحيوي في ضمن واجبات عموم الأمة؛ لأنه في اعتقادي واجب على كل مسلم ومسلمة فليس العطاء سمة الأغنياء وحسب بل لعل الأمثلة الأكثر إبهاراً في سيرة المعصوم وأصحابه في التاريخ كانت للفقراء الذين يقطعون من مالهم القليل لصالح الأمة الإسلامية وأزماتها.

ولذا فإن أهمية هذا البحث تكمن في نشر ثقافة العطاء على وفق المفهوم القرآني وتعاليمه في عموم الأمة فيقوم بها الغني والفقير ويقوم بها الزوج والزوجة والابن والابنة والمتعلم وغير المتعلم والعالم وطالب العلم وغير ذلك من شرائح الأمة فإذا أصبح أمر الإنفاق أمراً عامّاً في الأمة فَتَوَقَّع الخير الكثير الذي ينعش النظام الاقتصادي الإسلامي، فهذا النظام يقوم على الالتزام بالإسلام منهجاً وتطبيقاً، ويستمد مبادئه من القرآن الكريم وسنة المعصوم مفسرة وموضحة لهذا النظام.

ولأن النفس البشرية جُبِلَت على حب المال ، فالإنفاق والجهاد بالمال يروض النفس ويهذبها، وأشار القرآن الكريم لهذا الحرص والتعلق بالمال عند الإنسان، ومنه في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [1] وأكدت هذا المعنى سنة المعصوم ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واد آخر ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[2].

ولا غرابة فالمال والبنون زينة وتفاخر في الحياة الدنيا: قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ١٦٨.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[1]﴾، وقال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ[2]﴾، وقال تعالى: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا[4]﴾.

قال القرطبي (ت:٦٧١هـ): (إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا)[5].

لذلك فنحن نعترف أن عملية الإنفاق والجهاد بالمال صعبة مهما كان الهدف سامياً ومهما كانت الحجة مقنعة؛ ولذلك لزم على كل فرد أن يُدَرِّب نفسه على الإنفاق وذلك بتحيُّن الفرص الكثيرة التي تعرض له بل والبحث عن هذه الفرص واستثمارها.

وينبغي أن نعرف هنا أن الشحَّ مرض مهلك للفرد والمجتمع؛ فقد قال النبيُّ الأكرم ﷺ: (ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ..)[6].

وقد اطلع الباحث على مصادر كثيرة في هذا الموضوع وبحوث عدّة في الشأن عينه، ولا يبخس حقها فقد تناولت موضوع الجهاد والانفاق بالمال في القرآن الكريم من زوايا متنوعة حتى بدا التشعب فيها واضحاً جلياً، فكان من مسوغات اختيار موضوع هذا البحث مع وفرة ما كُتب فيه هو بيانه ههنا عن طريق آيات القرآن الكريم التي قيدها الباحث بأقوال المفسرين حتى لا يخرج البحث عن مساره التربوي الذي رسمناه في مضامينه، إذ ان الجانب الإرشادي والتربوي هو غاية نزول آيات القرآن الكريم وجوهر البعثة المحمدية وهو القائل ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [7]، كما لا نجد حاجة ملحة إلى أقوال

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٤) سورة مريم، الآية: ٧٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٤١٣.
(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٧/ ٦.
(٧) المصدر نفسه، ١٦/ ٢١٠.

الفقهاء كي لا نشحن البحث بالكثير من الجزئيات الأخرى.

فكانت خطة البحث من ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مكانة (الجهاد والمال) في القرآن الكريم، والمطلب الثاني: عن أهمية المال في القرآن الكريم، والمطلب الثالث: فقد كان عن أهمية الجهاد بالمال في القرآن الكريم، وخاتمة وقائمة بالمصادر.

سائلين الله تعالى القبول وأن يكون نافعاً لنا في الدارين، إنّه قريب مجيب الدعاء.

المطلب الأول: مكانة (الجهاد والمال) في القرآن الكريم:

في هذا المطلب سيكون بحثنا عن معنى الجهاد والمال وأهميتهما من خلال القرآن الكريم محاولين التركيز على المفهوم العام وما يقتضيه مضمون بحثنا، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مكانة الجهاد في القرآن الكريم:

الجهاد أو الجهاد في سبيل الله هو مصطلح إسلامي ويقصد به جميع الأفعال أو الأقوال التي تتم لنشر الإسلام أو لصد عدو يستهدف المسلمين أو لتحرير أرض المسلمين أو لمساعدة المستضعفين في الأرض، جاء هذا المصطلح في بدء الإسلام عندما ذكرت معركة بدر الكبرى في القرآن ثم عُمّتم هذا المصطلح ليشمل أي فعل أو قول يصب في مصلحة الإسلام لصد عدو ما يستهدف الإسلام فعلاً أو قولاً.

وقد وردت كلمة «الجهاد» وأخواتها كالقتال والزحف وأمثالها في القرآن الكريم بصور متنوعة وفي موارد متعدّدة، تأكيداً لأهمية هذا الأصل القرآني. ومن خلال مقارنة يسيرة نوردها مع بعض الموضوعات المهمة في الشرع الإسلامي يتضح لنا مدى الأهمية الكبيرة للجهاد.

ففي مجموع القرآن الكريم، ذكرت الصلاة واحداً وسبعين مرة (٧١)، وذُكر الصوم اثنتي عشرة مرة (١٢)، والحج إحدى عشرة مرة (١١)، والطهارة والتطهّر اثنتي عشرة مرة (١٢). ومع الالتفات إلى عظمة هذه الموضوعات وأهميتها، تتضح أهمية الجهاد إذا عرفنا أنّ القرآن استعمل كلمة «الجهاد» وتمجيد المجاهدين وتحقير المتخلفين في (٣٣) ثلاثة وثلاثين

موضعاً، وذكر الأمر بالجهاد في (٣٨) ثمانية وثلاثين موضعاً، إضافة إلى آيات متفرقات تضمنت عظمة الجهاد وفضيلته.

وفي سنة المعصوم نلحظ أهمية الجهاد ومكانته، قال رسول الله ﷺ: (فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه إن الله أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها)[١].

وقال الإمام علي عليه السلام: (الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله)[٢].

ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (الْجِهَادُ الَّذِي فَضَّلَهُ الله عَزَّ وَجَلّ عَلَى الأَعْمَالِ وَفَضَّل عَامِلَه عَلَى العُمّالِ تَفْضِيلاً فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَة)[٣].

ومن المعلوم إنّ القرآن المجيد وهو يتنزل على النبي الأكرم ﷺ، أعطى لألفاظه معاني معينة ومحددة، سواء كانت في مجال العقيدة أم الشريعة، إجمالاً أو تفصيلاً. ولو تتبع الباحث بالاستقراء ورود لفظ ما من ألفاظ القرآن الكريم لأمكنه أن يقف على معانٍ متعددة ومختلفة للفظ الواحد، وذلك على وفق السياق القرآني الذي ورد فيه هذا اللفظ.

ومنها لفظ (الجهاد) جاء في القرآن الكريم على معان منها:

الجهاد بالسلاح، وهو المعنى المتبادر عند الإطلاق، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[٤]﴾.

الجهاد بمعنى القول أي الجهاد الفكري والثقافي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا[٥]﴾. يعني: جاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً، لأن هذه الآية مكية ولما يشرع الجهاد بعد، والقرآن كتاب فكري ثقافي إرشادي وهو أول أنواع الجهاد خاضه النبي الأكرم ﷺ ضد المنحرفين، يقول الطبرسي: (وفي هذا دلالة على أن من أجل الجهاد وأعظمه

(١) الحر العاملي، الوسائل، ١/ ١٦.
(٢) نهج البلاغة، ٣/ ٧٧.
(٣) الكليني، الكافي، ٥/ ٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٢.

منزلة عند الله سبحانه، جهاد المتكلمين في حلّ شبه المبطلين، وأعداء الدين)[1].

الجهاد بمعنى العمل، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ[2]﴾. يعني: ومن يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه، أي: له نفع ذلك، إذ أنّ المجاهدة والجهاد مبالغة من الجهد بمعنى بذل الطاقة، وفي الآية تنبيه لهم أن مجاهدتهم في الله تعالى بلزوم الإيمان والصبر على المكاره دونه ليست مما يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهمهم ويلغو بالنسبة إليهم أنفسهم بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم لغناه تعالى عن العالمين فعليهم أن يلزموا الإيمان ويصبروا ويبذلوا طاقتهم على تحمل المكاره دونه[3].

بعد بيان مكانة الجهاد نجد من الضرورة بمكان أن نعرف الفارق بين الجهاد الإسلامي والإرهاب المعاصر، إذ يختلف الإرهاب عن الجهاد اختلافاً جوهرياً في كل شيء، في حقيقته ومفهومه، وأسبابه، وأقسامه، وثمراته ومقاصده، وحكمه شرعاً.

فالإرهاب صورة من صور العدوان وتوظيف غير موفق البتة لقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ[4]﴾، إذ إنّ واقعه المشاهد هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم، ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم، وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض.

أما "الجهاد" فهو يهدف إلى الدفاع عن حرمات الآمنين، أنفسهم وأموالهم، وأعراضهم وإلى توفير وتأمين الحياة الحرة الكريمة لهم، وإنقاذ المضطهدين والمستضعفين وتحرير أوطانهم وبلدانهم من سطوة الاستكبار وقوى الاحتلال.

يقول الدكتور مصطفى محمود موضحاً الفرق بين الجهاد والإرهاب: (ولا نخلط بين الإسلام السياسي والإرهاب فالإسلام يقوم كله على الحرية ويرفض الإكراه بجميع صوره والمناظر التي نراها من خطف الرهائن إلى تفجير العربات إلى نسف الطائرات إلى إطلاق

(١) مجمع البيان، ٧/ ٣٠٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦.
(٣) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ١٠٣.
(٤) سورة الانفال، الآية: ٦٠.

النار على مخفر شرطة ليست إسلاماً ولا أصولية بل جرائم يرتكبها مجرمون قتلة والإسلام اختبار واقتناع وسيلته الدعوة بالحسنى وهو لا يرفع سلاحاً إلا رداً على عدوان ولا يقاتل إلا دفاعاً عن حق مغتصب وهو دين الرحمة والمودة والسماحة والحلم والعفو والمحبة وهو سلام كله تحيته السلام وروحه السلام)[٥].

ثانيا: مكانة المال في القرآن الكريم

يشمل مفهوم المال في الإسلام كل شيء له قيمة مالية مثل: الماشية والأراضي والسلع والدور والعمارات... وحث الإسلام الحنيف على تحصيل المال من الطريق الشرعي كالتجارة والفلاحة والصناعة والحرف.. وحرم بعض الطرق غير الشرعية كالغش والرشوة والربا...كما دعا الشارع المقدس إلى إنفاق المال في الطرق الشرعية من دون إفراط ولا تفريط، كما ونهى عن البخل والإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا[٦]﴾. يكون المنفق معتدلًا على (وجه لا يضر المعطى ولا يكون زائداً على المقدار اللائق)[٧].

والمال في الإسلام مال الله عجل والإنسان نائب عنه في الإشراف عليه، لهذا اشترط الإسلام على المسلم:

التزام حدود الشرع وتعاليمه في كسبه لأن الإنسان محاسب على ذلك، قال النبي صلى الله عليه وآله: (..، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه،..)[٨].

التوسط والاعتدال في إنفاقه فالله سبحانه نهى عن تبذير المال لما في ذلك من تضييع، كما حرم البخل لما فيه من حرمان النفس وإضعاف روح التضامن والتعاون. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[٩]﴾.

(٥) د. مصطفى محمود، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، ص٢١-٢٢.
(٦) سورة الإسراء: الآية: ٢٩.
(٧) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٠٧هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٨٩.
(٨) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٨/ ٤٠٠.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

وورد لفظ المال في القرآن الكريم ٨٦ مرة، مفرداً وجمعاً، معرفاً ونكرة، وفي ذلك بلا شكّ دليل على الاهتمام القرآني الشديد بالمال، والنظرة الإسلامية الخاصة إلى ما يُعد اليوم عصب الحياة.

فأولى الإسلام المال اهتماماً واضحاً لا يخفى على عاقل، فعدّه القرآن الكريم قوام الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا....[١]﴾، و"قياماً" أي: تقوم به المعايش من التجارات وغيرها[٢].

فتطبيق ما جاء به الشرع المقدس على الواقع العملي في حياة المسلمين يجعل لهم نظاماً مالياً متفرداً يمكن أن نلحظ بعضاً من خصائص النظام المالي التي منها: تلبية مهمة الإنسان في الاستخلاف في الأرض على وِفق ما جاء به الشرع. وتوفير الرزق، وتحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي بين جميع أفراد الأمة. وتحقيق مصالح الجماعة والفرد. والطّابع الأخلاقي للنشاط الاقتصادي. النظام المالي ذو طابع تعبديّ، ويظهر ذلك من خلال الحرص على الكسب الحلال، وإنفاقه في وجوه الخير، دون أن يكون فيه إسراف، أو بخل؛ لأنّ المسلم يرجو بذلك مرضاة الله تعالى.

والمتدبر في آيات القرآن الكريم يلحظ أنها آيات مترابطة متكاتفة في خلق منظومة إسلامية متكاملة فكل جزئية أو موضوع يتأثر ويؤثر على الأَجزاء الأخرى، فلا يمكن فصل جزء دون الآخر سواء بالجانب العبادي أو الجانب العملي (المعاملات) وهو الذي نفهمه جلياً في الجانب العقائدي الذي لا يقبل التقسيم أو الإيمان بجزء دون الآخر من مفاهيم أصول الدين وهذا ما أَنكره الله سبحانه على الآخرين، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[٣]﴾. فنلحظ أنَّ التردي وسوء التوفيق لا يقتصر على الجانب الآخروي وإنما آثاره تكون في الحياة الدنيا.

(١) سورة النساء: الآية: ٥.
(٢) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢١٤.
(٣) سورة البقرة: الآية: ٨٥.

وسنقتصر ههنا على جزئية (فريضة) عبادية واحدة ونلحظ أثرها على جانب الجهاد المالي محل البحث، وهذه هي فريضة الصلاة، ولا عجب أن نجد ترابطاً بين فريضة الصلاة والجهاد المالي فبتدبر آيات القرآن الكريم نجد أن فوائد الصلاة أكثر من أن تُحْصَى؛ ولذلك فهي عمود الإسلام ولننظر – مثلاً – إلى ما ذكره ربنا سبحانه في سورة المعارج بخصوص علاج مشكلة الشحِّ الذي يُسيطر على نفوس كثير من الناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا[1]﴾ فهو هنا يُشير إلى أن عموم الناس إذا امتلكوا الأموال والثروات الخير فإنه يُمْسِكه ويمتنع عن إنفاقه ولكنه يستثني من هؤلاء مجموعة من البشر هؤلاء درَّبوا أنفسهم على بعض الصفات الحميدة التي تدفعهم دوماً إلى الإنفاق والبذل فمن هؤلاء المستثنون؟!

فنلحظهم في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ[2]﴾. فأول صفات هؤلاء هي أنهم من المصلين وهم لا يؤدون الصلاة كنقر الغراب ولكنهم يُدَاومون عليها ويُحَافِظون على إقامتها ثم تأتي الصفة الثانية مباشرة وهي تابعة للأُولَى فتذكر إنفاقهم للمال للسائل والمحروم وهم لا يَرَوْنَ لأنفسهم بهذا الانفاق فضلاً في ذلك بل يُخْرِجون هذا المال بوصفِه حقّاً من حقوق الفقراء والمساكين ومن ثَمَّ فَهُمْ يُخْرِجُونه بنفس راضية وهذه هي صفات المواظبين على الاتصال الدائم برب العالمين عن طريق الصلاة والصلاة صلة بين العبد وربه ومُحَالٌ على هذا الموصول بالله أن يموت قلبه أو تضعف همَّته، أو يقصر فيما فرض عليه ربه من التزامات وحقوق شرعية.

المطلب الثاني: أهمية المال في القرآن الكريم

المال في اللغة: هو كل ما يتموّل ويعدّه الإنسان مالاً، وجاء في القاموس: تموَّل الرجل:صار ذا مال وموّله غيره تمويلاً والمال عند أهل البادية، النَّعَم كالإبل والبقر

(١) سورة المعارج: الآية: ١٩-٢١.

(٢) سورة المعارج: الآية: ٢٢-٢٥.

والغنم[1].

والمال يشمل كل ما يرغب الناس في اقتنائه من الأشياء كالضياع والنخيل والذهب والفضة ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ[2]﴾.

والمال في المفهوم الشرعي: هو كل ما يمكن حيازته ويمكن الانتفاع به على وجه شرعي. قال ابن عاشور في تعريفه لمال الأمة بأنه: (كل ما به تستغني الناس في تحصيل ما ينفعهم في معاشهم)[3].

وإنَّ نعم الله سبحانه على الإنسان لا تعد ولا تحصى وكل هذه النعم واجب على العباد حفظها ورعايتها واحترامها، ومن هذه النعم نعمة المال. والعلماء قد أجمعوا على أنّ (حفظ المال) هو إحدى الضروريات الخمس الكبرى – الدين، النفس، العقل، النسل، المال– التي عليها مدار الشريعة ومقاصِدها. وسيكون هذا المطلب من الفقرات الآتية:

أولاً: المال وديعة الله عند الإنسان

المال لله سبحانه وتعالى وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية وضعه في أيدي الناس لتيسير أمورهم فهم مستخلفون فيه وليس لهم حق التصرف فيه إلاّ بما أمرهم الله تعالى بحسب قوانينه وسيحاسبون على هذا المال كيف اكتسبوه وفيما أنفقوه، فهو ودائع وأمانات مجردة لا يحق لهم التصرف بها حسبما يشتهون ولكن لينتفعوا بها ويستعملوها على وفق ما شرع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ...[4]﴾. أي أنفقوا

(١) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص٦٣٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ١٩٥.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٧.

المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم إياه عمن قبلكم وأن هذا المال مثلما صار إليكم سيصير إلى غيركم فاغتنموا الفرصة في إنفاقه في سبيل طاعة الله ومرضاته[١].

والتعبير عن المال بالاستخلاف للترغيب في الإنفاق فإنهم إذا أيقنوا أن المال لله وهم مستخلفون عليه وكلاء من ناحيته يتصرفون فيه كما أذن لهم سهل عليه إنفاقه ولم تتحرج نفوسهم من ذلك[٢].

فأخرج الملكية من يد العبد لعلمه أن النفوس مجبولة على حب المال شحيحة في إنفاقه، فأصل الملك لله سبحانه وتعالى وليس العبد إلاّ بمنزلة النائب أو الوكيل قال تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ[٣]﴾.

فمن أنفق في حقوق الله ولم يسرف كان له الثواب الجزيل والأجر العظيم وأما من تعدى ذلك كان عليه حراماً.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت:١٤٨هـ): (المال مال الله عز وجل جعله ودايع عند خلقه وأمرهم أن يأكلوا قصداً ويشربوا منه قصداً، ويلبسوا منه قصداً، وينكحوا منه قصداً ويركبوا منه قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على الفقراء المؤمنين...)[٤].

وقال أيضاً عليه السلام: (إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله عزّ وجل ولم يعطكموها لتكتنزوها)[٥].

فهو صاحب العطاء ومالك الملك جعله وديعة عند خلقه للتصرف فيه وفق إرادته يأخذون منه على قدر حاجاتهم وينفقون الباقي في سبيله لكن حب الإنسان للمال وتعلقه به يمنعه من ذلك ولو أنه فكر أنه تارك هذا المال للورثة ما جاهد في اكتسابه وكنزه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٩/ ٣٨٥.
(٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/ ١٥١.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٠/ ١٦.
(٥) الكليني، الكافي، ٤/ ٣٢.

فأبلى أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)[1].

ثانياً: توصيات قرآنية في آداب إنفاق المال:

من خلال التدبر في آيات القرآن الكريم نلحظ أنّ هناك جملة من التوصيات التي توضح آداب إنفاق المال ومنها:

أن يكون الإنفاق في سبيل الله عجلان: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[2]﴾. أي ان تكون نية الانفاق هو القرب لله سبحانه كأي عمل عبادي يقوم به المسلم قاصداً به وجه الله عجلان لا وجه الناس[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا[4]﴾.

أن يكون الإنفاق مما يملكون ملكاً حلالاً لا مما يملك غيرهم حتى وإن كان يسيراً: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ[5]﴾. ولم تحدد الآية الكريمة مجالات الانفاق وحدوده وجعلته اتفاقاً عاماً لأنه (خرج مخرج المدح في الانفاق مما رزقوا، وذلك لا يكون إلا من الحلال، أي يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وغيرها مما يعنّ في بعض الأحوال مع ما ندبهم إليه)[6].

أن يكون الإنفاق في السرّاء والضرّاء على حدٍ سواء، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ[7]﴾. السراء: حالة الغنى، الضراء: حالة الفقر، أي أنهم (في حال الرخاء واليسر والعسر لا يتركون الإنفاق)[8].

(١) مسلم، الجامع الصحيح، ٨/ ٢١١.
(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٦١.
(٣) ظ: د. عدنان خليفات، حديث القرآن عن الانفاق، ص٣٤.
(٤) سورة الإنسان: الآية: ٩.
(٥) سورة البقرة: الآية: ٣.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ١٤٥.
(٧) سورة آل عمران: الآية: ١٣٤.
(٨) الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٧.

أفضل الإنفاق ما كان بأشكال متنوعة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[1]﴾. الانفاق في كل الأحوال – سراً أو علانية – هو محل رضا الله سبحانه، والظاهر ان الانفاق الواجب (الفريضة) الأفضل ان يكون علانية لما فيه من تشجيع للآخرين، وأما أفضلية السر فتكون للأنفاق المستحب (المندوب) خشية من دخول الرياء أو العجب الى نفس المُنفق ومن ثم فساد العمل، على كل حال الآية القرآنية داعية الى الانفاق بأشكاله المتنوعة وهذا ما كان يعمله السلف الصالح، قال ابن عباس (ت ٨٦هـ) في سبب نزول الآية محل البحث انها: (نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت معه أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم جهراً)[2].

يكون الإنفاق مما تيسر، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ[3]﴾. وذلك إنّ الانفاق (بجميع طرقه من أعظم ما يعتمد عليه بنية المجتمع وأنه الذي ينفخ روح الوحدة في المجتمع الانساني فتتحد به قواه المتفرقة فتنال بذلك سعادته في الحياة ويقوى به على دفع كل آفة مهلكة أو مؤذية تقصده)[4].

ألا يتبع الإنفاق مناً أو أذىً على الفقير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[5]﴾. أي لا يفعلون مع الذي أحسنوا إليه ما يجرح مشاعره أو يُقلل من كرامته فهم إن فعلوا ذلك حبطت أعمالهم وضاع أحسانهم عند الله عجل وعند الناس[6].

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٧٤.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٣٨٤.
(٣) سورة التوبة: الآية: ٩١-٩٢.
(٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤/ ١٦.
(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٦٢.
(٦) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٢٥.

أن يكون الإنفاق عن رغبة وطواعية لا عن إجبار وإكراه، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ[1]﴾. لأن الانفاق يتقبله الله تعالى من المؤمنين المخلصين، وأما المكرهون والمتثاقلون فلا يثابون لأنهم إنما (يصلون وينفقون للرياء والتستر بالإسلام، لا لأبتغاء مرضاة الله تعالى)[2] ومن ثم يحبط عملهم لأنهم غير راغبين لهذه الطاعة وللقرب الإلهي.

ثالثاً: تشريعات قرآنية لمنع الإخلال بحفظ المال:

١. تحريم إضاعة المال: من خلال تحريم الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ[3]﴾، وقال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا[4]﴾.

٢. منع المال عن السفهاء لحفظها من التلف: قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا[5]﴾.

معلوم أنّ السفه: هو (عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع)[6].

وهذه الآية الكريمة وإن كانت تبحث حول اليتامى، لكنها تتضمن حكماً كلياً وقانوناً عاماً لجميع الموارد، وهو أنه لا يجوز لأحد مطلقاً أن يعطي أموال من يتولى أمره، أو ترتبط به حياته بنوع من الارتباط، إليه إذا كان سفيهاً غير رشيد، ولا فرق في هذا الحكم بين الأموال الخاصة والأموال العامة.

(١) سورة التوبة: الآية: ٥٤.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان ٥/ ٥٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٤) سورة الاسراء، الآية: ٢٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٥.
(٦) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص١١٩.

٣. تحريم السرقة وإيجاد الحد على السارق: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[١]﴾، ولا شك في أن تحريم السرقة في الشريعة الإسلامية و وعدّها من الكبائر، بل وإيجاب حد قطع يد السارق – وقد فصلت السنة الشريفة كيفية إقامة الحد بعد ان تكتمل شروط إقامة الحد[٢] – فيه من الردع ما يكفي لحفظ أموال الناس من الاعتداء.

لذا فمن الخطأ القول: إن في قطع يد السارق شدة وغلظة لا تأتلف والمدنية الحديثة والحضارة المعاصرة حتى أن الحضارة تقضي أن يكون الناس عرضة لأهل الجنايات ممن لا أخلاق لهم ولا دين، كما أن في العقاب على السرقة محاربة لتلك الدوافع الإجرامية بدوافع مضادة لها[٣].

٤. تحريم قطع الطريق وإيجاب الحد عليه: ومن المعلوم أن من أهم غايات قطاع الطريق هو الاعتداء على أموال الناس، وقد شرع الإسلام عقوبة شديدة رادعة على هذه الجريمة، لحفظ الأمن والأمان في المجتمع، الذي منه حماية أموال الناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[٤]﴾.

وغني عن القول إن (العقوبات المشددة التي جاء بها الإسلام لقطاع الطريق تتوضح فلسفتها في الأهمية القصوى التي أعارها هذا الدين للدماء البريئة، لكي يحول دون اعتداء الأفراد الأشقياء الأشرار القتلة على أرواح وأموال وأعراض الناس الأبرياء)[٥].

ولا شك في أن عقوبة بهذه الشدة وذلك الحزم كافية لحفظ أموال الناس من الاعتداء،

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٢) ظ: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٨ / ٢٥٣.
(٣) ظ: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالوضعي، ص٦٥٢.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٣.
(٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/ ٤٥٧.

ناهيك عن حماية المجتمع بأسره من غائلة اختلال أمنهم.

٥. تحريم أكل أموال الناس بالباطل وفي كل سُبله: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[١]﴾. وفي الآية دلالة واضحة على (تحريم أكل الأموال بالباطل، وعلى تحريم إرشاء الحكام لأكل الأموال بالباطل، وعلى أن قضاء القاضي لا يغير صفة أكل المال بالباطل، وعلى تحريم الجور في الحكم بالباطل ولو بدون إرشاء، لأن تحريم الرشوة إنما كان لما فيه من تغيير الحق، ولا جرم أن هاته الأشياء من أهم ما تصدّى الإسلام لتأسيسه تغييراً لما كانوا عليه في الجاهلية فإنهم كانوا يستحلون أموال الذين لم يستطيعوا منع أموالهم من الأكل فكانوا يأكلون أموال الضعفاء)[٢].

٦. تحريم إتلاف أموال الناس وإيجاب الضمان على ذلك: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ[٣]﴾، وقال النبي الأكرم ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله عز وجل)[٤].

فإن خالف أحد هذه الآية وأتلف مال غيره بأي وسيلة أو طريقة من الطرائق، فقد أوجب الإسلام عليه الضمان حفاظاً على حماية أموال الناس، ومن هنا قرر الفقهاء قاعدة فقهية عظيمة في هذا الباب هي: (قاعدة الإتلاف)[٥]، والمراد من الإتلاف هو استهلاك مال مسلم بدون إذنه ورضاه أعم من أن يكون عن عمد أو عن خطأ، ويكون مفادها هو الضمان على من يتلف مال الآخرين ، كما اشتهر عند الفقهاء المتقدمين والمتأخرين منهم قولهم: من أتلف مال الآخرين فهو له ضامن، فإذا تحقق إتلاف مال الآخر بدون إذنه ورضاه وبدون

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ١٨٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٩.
(٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٣٦١.
(٥) ظ: الجواهري (ت:١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام، ٤٢/ ٢٧٩.

قصد الإحسان إليه يكون المتلف هو الضامن حتى يؤدي ما أتلفه إلى مالكه قيمة أو مثلاً. ولا يخفى أنه قد يعبر عن هذه القاعدة: (الإتلاف بقاعدة من أتلف).

رابعاً: عقوبة كنز المال:

بشّر القرآن الكريم كانز المال بالعذاب الأليم ولم يقف على ذلك بل فصل وبين نوع هذا العذاب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

فقوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: أي توضع النار على هذه الكنوز لتكون في أسفلها فتشتد حرارتها، وهذا التعبير الحي يجسد شده عذاب أولي الثروة الذين يكنزونها في يوم القيامة[2].

والكي: أن يوضع على الجلد جمر أو شيء مشتعل، وفي ذلك إعمام لكل جهات الاجساد بالكي، فإن تلك الجهات متفاوتة في الاحساس بالألم، فيكون مع إعمام الكي أن يذوق الكانز أصنافاً من الآلام[3].

وإنما خص هذه الأعضاء لأنها معظم البدن ولان داخلها جوف بخلاف اليد والرجل، وقيل إنما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسع لظهورها والجنب محل الألم والظهر محل الحدود، وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينه وطوى كشحه وولاه ظهره[4].

وقيل: (لعل تخصص الجباه والجنوب والظهور لأنهم خضعوا لها وهو السجدة التي تكون بالجباه ولاذوا إليها واللواذ بالجنوب واتكئوا عليها والاتكاء بالظهور)[5].

(١) سورة التوبة، الآية:٣٥.
(٢) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ٤٣.
(٣) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠/ ١٧٩.
(٤) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٥/ ٤٨.
(٥) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣/ ٧٠.

نار وكي وعذاب شديد مستمر، كل ذلك لمن كنز وجمع مالاً فوق حاجته ولم ينفقه في سبيل الله، إن أي إنسان يملك عقلاً واعياً يتعض ويعتبر، فأيها أفضل أن ينفق ما زاد عن حاجته وحاجة عياله وهو في غنى عنه ولا يضره، أم هذا العذاب الشديد.

قال رسول الله ﷺ: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلاّ إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أما إلى الجنة وإما إلى النار)[1].

وكل كانز مال سيكون عذابه على قدر ما كنز من المال، فمن كنز مالاً كثيراً سيكون عذابه أشد وأعظم، فإن هذه الكنوز يصيرها سبحانه وتعالى صفائح من نار وتكوى بها جباههم وجنوبهم والظهور.

وذكر السيوطي أنّ رسول الله ﷺ قال: (لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوسع الله جلده فتكوى بها)[2].

وقد أورد القرآن الكريم مثالاً حياً لكانز المال وعقابه في الدنيا والآخرة لما في كنز المال من ضرر في المجتمع وعلى جميع الأصعدة وليكون عبرة لمن بعده ولكن يبدو أنّ حب المال فوق كل نصيحة أو عظة، وهو العلة في كل ما يصيب الأمم والأفراد من حروب وتناحر واقتتال على مر العصور.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ

(١) مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ٧٠.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٤/ ١٧٩. لم أجد الحديث في المصادر الحديثية بحسب تتبعي.

مِنْهُ قُوَّةَ وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

إن القرآن يحثنا، عن شخصية مرموقة في المجتمع الاسرائيلي تحولت بسبب فتنة المال وحبه إلى طاغية وعبرة لكل الأجيال.

فقارون هذا كان من أرحام نبي الله موسى ولم يكن إنساناً اعتيادياً بل كان حافظاً للتوراة، وعالماً من علماء بني إسرائيل[2].

أتاه الله ثروة عظيمة ومالاً كثيراً وصفه سبحانه وتعالى بالكنوز لكثرته، فلم ينفقه في ما أمر الله تعالى به ولم يضعه موضعه المعروف بأعمال الخير والبر، بل استاثر بهذا المال لنفسه وكنزه في غير حاجة للادخار، واستغله في الإفساد والطغيان بعد أن منعه عن سبيل الله فكانت عقوبته أن خسف الله به الأرض هو وثروته.

فقوله: (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) أي (استطال عليهم لكثرة كنوزه)[3]، أو أنه تجاوز الحد في الظلم وخصوصاً أنه كان يملك المال الذي يعنيه على الظلم ، ويستطيع أن يسخر به الناس لخدمة أهدافه[4].

والمفتاح: المكان الذي يدخر فيه الشيء كالصندوق الذي يحفظ فيه المال ويسمى خزينة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...[5]﴾، أي خزائن ماله[6].

فيكون المعنى: أن قارون كان ذا مال كثير ووفير من الذهب والفضة بحيث كان يصعب حمل صناديقها على الرجال الأشداء أولي القوة ومع ملاحظة كلمة (عصبة) التي تعني الجماعة المتآزرة يداً بيد على الأمر المهم، يتضح حجم الذهب والفضة والمعادن الثمينة

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦، ٧٧، ٧٨.
(٢) ظ: القمي، تفسير القمي، ٢/ ١٤٤، ١٤٥.
(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٧/ ٤٥٩.
(٤) ظ: الشعراوي، الخواطر، ٦/ ٣٦٩.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٦) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٧/ ٤٥٩.

التي كانت عند قارون[1].

حاول قوم قارون نصيحته بنصائح يمكن عدّها دستوراً للتعامل مع نعم الله التي ينعمها على عباده وكيفية استغلالها وتوظيفها في وجوه البر وهذه النصائح هي:

١. ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، فُسّر الفرح بالبطر وهو لازم الفرح المفرط بمتاع الدنيا وهذا لا يخلو من تعلق شديد بالدنيا مما يجره إلى نسيان الآخرة ويورث البطر والتكبر[2].

فإنه سبحانه وتعالى، لا يحب الفرح اللازم للبطر لا الفرح بنعم الله ورحمته من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهَّ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ[3]﴾.

والفرح الذي ينهى عنه سبحانه وتعالى هو فرح قارون وأمثاله بما وهبهم الله تعالى من نعم وغرورهم بها واستخدامهم إياها في المعصية وتكبرهم عن شكره، ولو أنهم آمنوا واتقوا لعلموا إن الذي أعطاهم قادر على أن يسلبهم، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[4]﴾.

٢. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهَّ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾، أي اطلب بما أعطاك الله من كنوز ومال وفير أسباب حصول الثواب بالإنفاق منها في سبيل الله وما أوجبه ورغب فيه من القربات ووجوه البر[5].

فإن ما معك من مال هو هبة وفضل من الله سبحانه وتعالى فابتغ به رضا الله وأنفقه في كل وجوه الخير سواء كان على عيالك أو أهل بيتك أم على المحتاجين وغيرها من وجوه الإنفاق في سبيل الله، المهم أن لا تكنزه وتخفيه وهذا ما دل عليه قوله: ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ

(١) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢/ ٢٨٨، ٢٨٩.
(٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١١/ ٧٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٥) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٧٨.

مِنْ الدُّنْيَا﴾، أي لا تترك نصيبك فإنه سبحانه وتعالى لا يريد التضييق على العباد، فخذ نصيبك منه وانفق الباقي في سبيله.

وقد ورد عن الإمام علي ﷺ في معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾، قال: (لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة)[٦].

فالمال ممكن أن يكون وسيلة للوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى فضلاً عن التنعم به في الدنيا، المهم أن يكون الفرد عارفاً كيف يستخدمه ،وبصيراً بمواضع أنفاقه.

٣. ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾، (أي أنفقه لغيرك إحساناً كما أتاكه الله إحساناً من غير أن تستحقه وتستوجبه)[٧].

فالمال بالأصل هبة الله سبحانه وتعالى وهو إحسان منه لخلقه فلابد من مبادلة الإحسان بالإحسان وذلك بأن يستخدم هذا المال في عمارة الأرض وسائر وجوه البر.

٤. ﴿وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾، أي لا تغرنك هذه الأموال والإمكانات المادية فتجرك إلى الفساد، فإنّ كثيرًا من الأغنياء وعلى أثر جنون زيادة المال يفسدون في الأرض وفعله يجر إلى الفقر والحرمان لاحتكارهم كل شيء بأيديهم بحكم ما يملكون من مال، وهذا يجرهم إلى التكبر والاستعلاء والظن أن الناس عبيد لهم[٨].

لكن قارون رفض هذه النصائح وردّ عليهم بما هو أشنع في قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ فهو كان يرى أن العلم الذي عنده سبب حصوله على المال وهو الذي يبقيه عنده، وهو في الوقت نفسه يعلم أنه كان في من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً وكانوا يظنون أنهم جمعوه عن علم عندهم ومهارات اتقنوها وقد أهلكهم الله بجرمهم[٩].

فظنهم هو ظن قارون نفسه وهذا الذي جعلهم يأمنون العذاب الإلهي ويؤثرون الحياة

(٦) الصدوق، معاني الأخبار، ص٣٢٥.
(٧) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ٧٥.
(٨) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢/ ٢٩٢.
(٩) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٦/ ٧٦.

الدنيا على الآخرة، وهذا المنطق القاروني نجده في كل زمان ومكان، فإن صاحب الثروة والجاه كثر ما ينسى أن ما معه من مال هو من فضل الله وإحسانه فيصيبه الغرور والتكبر ولا يعتبر بما أصاب الذين قبله من القرون.

ولم يكتف قارون بهذا الرد وإنما خرج للتباهي أمام قومه وبكامل زينته واتباعه ليفتن أصحاب الإيمان الضعيف من قومه لذلك نراهم انقسموا قسمين، الأول تمنى أن يكون مكان قارون، والقسم الثاني راسخي الإيمان الذي لم تؤثر فيهم لا الكنوز ولا الأموال في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

فكان موقف قارون امتحاناً لقوم موسى ﷺ فدائماً هناك من يبيع كل ما يملك من قيم ومبادئ في سبيل المال والجاه. وسبحانه وتعالى يفضحهم بهذه المواقف علهم يتداركون أنفسهم ويتوبون إليه.

وفي الوقت نفسه وصل قارون إلى قمة طغيانه ولم ينجح في امتحانه بالمال والكنوز ولم يتصرف بها كما أمره الله سبحانه وتعالى فخسف الله تعالى به وبداره الأرض في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ[2]﴾.

فمات قارون كافراً غير مؤمن بالله تعالى على الرغم من أنه كان يعدُّ عارفاً بالتوراة قارئاً لها، عالماً من علماء بني إسرائيل ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ[3]﴾.

(١) سورة القصص، الآية: ٧٩، ٨٠.
(٢) سورة القصص، الآية:٨١.
(٣) سورة القصص، الآية:٨٢.

وواجه عذاب الله عجلاً وحيداً فريداً بدون ناصر، حيث ذهبت قوته وشبابه فصار أمام عذاب الله ضعيفاً، وتركه حلفاؤه وحاشيته فلقي عذاب الله وحيداً، وفقد جميع كنوزه وماله فاستقبل عذاب الله فقيراً[1].

وهذا حال كل من يموت فإنه لا يأخذ معه شيئاً من هذه الدنيا بكل ما فيها من نِعم وأموال، لا يأخذ معه غير عمله التي تصرف به بأمواله، فإذا كان ذلك العمل صالحاً كانت عاقبته خيراً وإذا كان سيئاً كانت عاقبته جهنم وعذاباً أليماً.

المطلب الثالث: أهمية الجهاد بالمال في القرآن الكريم

الجهاد في سبيل الله من المقامات التي يوفق لها الله تعالى من عباده من ارتضى، وهو – كما تقدم – له وجوه متنوعة، والجهاد بالمال أفضل من بعض تلك الوجوه، والجهاد بالنفس أفضل من بعض تلكم الوجوه، إذ النفس أغلى شيء عند الإنسان، فإذا جاهد بها فهذا أفضل الجهاد؛ لأنه جاهد بنفسه.

ومحل بحثنا هو الجهاد بالمال وانفاقه في ما أمر الله تعالى به من وجوه البر والخير وهو المعبر عنه "في سبيل الله" وهو ما سنلحظه في فقرات هذا المطلب، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مصطلح (في سبيل الله)

هو مصطلح اقترن بآيات الجهاد بالنفس والمال والإنفاق في القرآن من قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[2]﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى..[3]﴾، فضلًا عن وروده في آيات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[4]﴾، إذ بلغ عدد الموارد التي ورد فيها ما يزيد على ستين مورداً مما يدل على سعته وشموله وعظمته وأهميته.

(١) ظ: د. صلاح الخالدي، القصص القرآني، ٣/ ٦١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

فهو مصطلح عام لكنه أكثر ما يستعمل في آيات الجهاد والإنفاق حتى صار خاصاً بها أو هو بالأصل أُريد به الجهاد بالمال والنفس ابتداءً ثم صار عاماً لاستعمال الفقهاء له في الفقه باب الزكاة إذ جُعل أحد الأصناف الثمانية المستحقين للصدقة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ...[1]﴾.

وعدّوا أن المراد من مصطلح (في سبيل الله) في الآية هم إما: الغزاة المتطوعون وهم غير الجند والمرابطون الذين لهم سهم من غنائم الفيء دون الصدقات[2].

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام (ت:١١٤هـ) قال: (... وفي سبيل الله قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجون به، أو في جميع سبل الخير، فعلى الامام أن يعطيهم من مال الصدقات حتى يتقوون به على الحج والجهاد)[3].

وفي جواب النبي صلى الله عليه وآله لرجل قال له: (يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم الرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[4].

ويستفاد مما تقدم أنّ مصطلح سبيل الله يراد به هو كل عمل يقوم به الإنسان المسلم فيه منفعة للناس كافة بنية التقرب لله عزوجل، فيكون سبيل الله تعالى هو سبيل الناس جميعاً، فأي عمل ينفع الناس واقع في مصطلح سبيل الله عزوجل وهذا بحد ذاته لطف إلهي بالعباد، ويؤكد هذا المعنى السنة المطهرة ،إذ يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله..)[5].

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.
(٢) ظر: الطوسي، المبسوط، ١/ ٢٥٤، والعلّامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ٢/ ٢٠٨.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٣/ ٦٣.
(٤) مسلم(ت:٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، ٦/ ٤٦، وظ: السيوطي(ت:٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٣/ ٢٤٦.
(٥) الكليني، الكافي، ٢/ ١٦٤.

وهذا المعنى نلحظه أيضاً في كلام المفسرين، فنجد الطوسي (ت:٤٦٠هـ) يقول: (سبيل الله هو كل طريق شرعه الله تعالى لعباده يدخل فيه الجهاد والحج وعمارة القناطر والمساجد ومعاونة المساكين والأيتام)[١].

وكذلك الطبرسي إذ قال: (في سبيل الله هو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين)[٢].

ونلحظ ان هذا المعنى أكثر وضوحاً عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت:١٩٨٠م) إذ قال: (كلما جاء سبيل الله في الشريعة أمكن أن يعني ذلك تماماً سبيل الناس أجمعين وقد جعل الإسلام سبيل الله أحد مصارف الزكاة، وأراد به الإنفاق لخير الإنسانية ومصلحتها)[٣].

وبهذا يمكن القول إن المراد من (سبيل الله) هو الجهاد أيضاً لأنه في سبيل دفع العدوان والأذى عن الناس وهو في الوقت نفسه مما يوصل إلى مرضاة الله.

قال سيد قطب: (في سبيل الله: باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة تحقق كلمة الله وفي أولها إعداد العدة للجهاد)[٤].

فهذا يدل على أن الجهاد عبادة لابد وأن يقصد به وجه الله تعالى، وفي ذلك إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية والهمجية من قتل الناس، فالإسلام جاء لحفظ الإنسانية والدفاع عن الأنفس والأموال والأعراض ولابد في ذلك من أن يكون في سبيل الله والاخلاص فيه وعدم التعدي على حدوده[٥].

ثانياً: الجهاد بالمال واجب ومطلب ضروري.

يعد المال قوام الحياة به تزدهر المجتمعات وتتطور، وهو أحد أهم مصادر القوة في

(١) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢/ ٧٥.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٥/ ٧٥.
(٣) محمد باقر الصدر نظرة عامة في العبادات، ص٣٩.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠/ ٨٢.
(٥) ظ: السبزواري(ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣/ ١٣٥.

الأمم وسرّ تقدمها، وفي الوقت نفسه هو عزيز على النفس التي جُبلت على حبه والرغبة في جمعه ومن ثم فإن بذله يوجب المشقة على كثير من النفوس.

ولهذا السبب قُرن الجهاد بالمال بالجهاد بالنفس في آيات الجهاد للترغيب في إنفاقه وبيان أهميته فلا يكون الجهاد بالنفس بدون المال، وقدم المال على النفس في تسع آيات للدلالة على أن الجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس.

قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[1]﴾، فهذا أمر من الله بالجهاد في قتال أعدائه بالأموال والأنفس، فمن لم يطق إلاّ الجهاد بالمال فعليه أن يعين به من ليس له مال[2].

وجعل سبحانه وتعالى من الجهاد بالمال فضيلة عظيمة وتجارة رابحة وقرنه بالإيمان بالله والنجاة من النار وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[3]﴾.

فقد عدّ الإيمان بالله والجهاد في سبيله في الآية تجارة، رأس مالها النفس وربحها النجاة من عذاب أليم[4].

ويعدّ الجهاد بالمال أحد فروع الإنفاق في سبيل الله التي ذكرها في القرآن، فقد ذكر الإنفاق في أكثر من خمسين آية وهو عدد يفوق كل الآيات التي جاء فيها ذكر الصلاة والزكاة والصوم والحج وهذا يدل على أهمية الإنفاق في الخطاب القرآني.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ[5]﴾، وهنا يقول

(١) سورة التوبة: الآية: ٤١.
(٢) ظ: التبيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٢٤.
(٣) سورة الصف، الآية: ١٠-١١.
(٤) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/ ٢٥٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

الطبرسي : (أي انفقوا أموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير)[1].

فالإنفاق في سبيل الله مصطلح عام يدخل فيه كل وجوه البر التي أمر الله تعالى بها، وهو بهذا المعنى العام: (إخراج الشيء عن ملك مالكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم إنفاقاً)[2].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[3]﴾.

والإنفاق من أجل التهيئة للجهاد من المقدمات الأساسية وهو بهذا أحد وجوه الإنفاق في سبيل الله[4]، فكل نص يشمل الإنفاق في سبيل الله يشمل الجهاد بالمال ولا عكس وكل ذلك مرتبط بمصطلح (في سبيل الله) الذي سأبينه في المطالب القادمة فضلاً عن بعض النكت المتعلقة بالجهاد وبالمال والإنفاق في سبيل الله.

ونلحظ أنّ الجهاد بالمال في مضمونه جهادان، جهاد بالمال وجهاد للنفس التي من طبعها الحرص والبخل، فالإنسان حينها يجاهد في المال وجهاد للنفس المانعة، في حين أن الجهاد بالنفس جهاد واحد بنفسه.

ومما يجب بيانه أن الجهاد بالمال في وقت العسرة أعظم وانفع من الجهاد بالمال في زمن اليسر والرفاه، فالله عجل ذَكَرَ في القرآن (في سورة الحديد المدنية)، أن مَن أنفق قبل الفتح له أجر أكبر ومنزلة أعلى من الذين أنفقوا بعد الفتح، وما ذلك إلا لأن الإنفاق قبل الفتح يحمل مخاطر أكبر وله منافع أكثر، فالحاجة إليه أعظم بكثير مما هي بعد الفتح؛ لأن الأمور تكون قد استقرت وبدأ تحصيل المنافع من الإنفاق، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٥/ ١٥١.
(٢) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٢/ ١٥١.
(٣) سورة البقرة ، الآية: ٢٦١.
(٤) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٢٤.

الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[1]﴾.

ومن هذا الأمر استخلصنا أن فكرة الإنفاق وحسن توزيع الثروة بين الناس، ليست فكرةً تحفظ المجتمع الإنساني السليم وترعاه فحسب، بل إنها كذلك فكرة تعمل على تأسيسه ورفع أبنيته أيضاً، ففي المرحلة المكّية لم يكن هناك مجتمع إسلامي بعد، كان هناك أفراد مسلمون، ومع ذلك فقد جاء التشريع بالإنفاق من أجل المساعدة على بناء هذا المجتمع.

ثالثاً: الحكمة من تقديم المال على النفس في آيات الجهاد.

قرن الله سبحانه وتعالى ذكر المال مع النفس في آيات الجهاد في عشرة مواضع تقدم المال فيها في تسع آيات مما دعا المفسرون إلى الوقوف عليها وبيان الحكم والآثار المترتبة عليها.

والآيات التي اقترن فيها المال والنفس هي في قوله تعالى:

﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[2]﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[3]﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ[4]﴾.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٠.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[1]﴾.

﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ[2]﴾.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ[3]﴾.

﴿لَكِنْ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ[4]﴾.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[5]﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ[6]﴾.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[7]﴾.

وفي ما يأتي بيان لبعض النكت والآثار المترتبة على تقديم المال على النفس في هذه الآيات:

١. إن الجهاد بالنفس يحتاج إلى المال لإعداد العدة وتجهيز الجيش فالمال مقدمة مهمة وضرورية للجهاد بالنفس فلا يمكن أن يكون جهاد بالنفس بدون المال. لأن المال ينفع

(١) سورة التوبة، الآية: ٤١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٨١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٨.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٥.
(٧) سورة الصف، الآية: ١١.

في جهات كثيرة، يستطاع أن يستأجر به المجاهد، يستطاع أن يجهز به المجاهد، يستطاع أن يشترى به السلاح، يشترى به الطعام والشراب، تشترى به الكسوة، تشتري به المؤونة الذخيرة، فنفع المال متنوع[1].

فهو إذن عصب الحرب ومدد الجيش وأهم من الجهاد بالسلاح فبه يشترى السلاح ووتهيئ المعسكرات والمؤونة وبه تكفل عوائل المجاهدين وترعى مصالحهم عند انشغالهم بالقتال.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ[2]﴾. والقوة في الحرب كل ما يتمشى به الحرب والدفاع من أنواع الاسلحة والرجال المدربين والمعاهد الحربية[3].

والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، ومن الواجب بنصّ القرآن أن يشمل هذا الاستعداد صنع الأسلحة بأنواعها وتعلم فنون القتال[4].

وهذا ما يحتاج إلى أموال طائلة وخصوصاً في زماننا هذا الذي تطورت فيه الاسلحة والمعدات الحربية حتى صارت أحد أهم أسباب الظفر والفوز في المعركة، بل تغلب السلاح الحديث على كثير من الجيوش وأكبر دليل أن نهاية الحرب العالمية الثانية كانت بسبب قنبلة واحدة، لذلك قدم المال على النفس لأهميته وأن المنفق في سبيل الله ينال رضا الله وجنته.

قال رسول الله ﷺ: (يا علي، اتلو عليك آية في نفقة الخيل: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

(١) ظ: الشنقبطي(ت:١٩٧٣م)، أضواء البيان، ٨/ ١١٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٣) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ١١٤.
(٤) ظ: محمد رشيد رضا(ت:١٩٣٥م)، المنار في تفسير القرآن، ١٠/ ٥٣.

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً[1]﴾)[2]. فنلحظ هنا ان النفقة على الخيل المرتبطة في سبيل الله هي التي عنتها الآية الكريمة، و مصاديقها كثيرٌ في زماننا الحاضر.

وقال أيضاً ﷺ: (أفضل الصدقة ظل فسطاط[3] في سبيل الله ومنيحة[4] خادم في سبيل الله أو طروقة فحل[5] في سبيل الله).[6]

٢. تنبيه لذوي الأعذار من النساء والشيوخ والمرضى بإمكان الجهاد والمشاركة بالأجر والثواب مع المقاتلين، فإن كثيراً من المسلمين كانوا قادرين على الجهاد ولكن لا يملكون المال للتجهيز وشراء عدة الحرب حتى جعلهم القرآن مع أصحاب الأعذار مما جعلهم يتألمون حزناً لعدم قدرتهم على الخروج للجهاد، قال تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ[7]﴾.

قال الطبرسي : الجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس، فمن لم يطق الجهاد إلاّ بالمال فعليه أن يعين به من ليس له مال[8].

وقد بين رسول الله ﷺ أهمية الإنفاق في الجهاد بمناسبات كثيرة من ذلك قوله: (من أعان غازياً بدِرْهم فله مثل أجر سبعين دراً من درر الجنة وياقوتها وليست منها حبة إلاّ وهي أفضل من الدنيا)[9].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٧/ ٣٥.
(٣) الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فسط، ٧/ ٣٧١.
(٤) المنيحة: الإعارة، منيحة الناقة أي جعل له وبرها وولدها ولبنها، والمراد هنا أن يمنح عبداً للجهاد في سبيل الله، ظ: المصدر نفسه، مادة منح، ٢/ ٦٠٧.
(٥) طروقة فحل: هي الناقة، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة طرق، ٣/ ٤٥١.
(٦) الترمذي(ت٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح المشهور بـ(سنن الترمذي)، ٣/ ٩١.
(٧) سورة التوبة، الآية:٩٢.
(٨) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٥/ ٢٢٤.
(٩) الميرزا النوري (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ١١/ ٢٤.

وقال ﷺ: (من جهز غازياً بسِلك أو إبرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[١].

وعنه أيضاً ﷺ (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا)[٢].

٣. بيان وتذكير للمسلمين بأن الجهاد لا يكون بالنفس وحسب بل بأي وسيلة أمكنت والمال من أهم هذه الوسائل، ولأن الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الجهاد هو القتال في سبيل الله.

قال ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ): المال أقل حضوراً في الذهن عند سماع الأمر بالجهاد فكان ذكره مهماً بعد الجهاد[٣].

٤. حب الإنسان الشديد للمال واعتزازه به، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا[٤]﴾. فإن إخراج المال وإنفاقه يحتاج إلى مجاهدة للنفس، ولأن المنفق لا يتوقع أن يرجع إليه ماله أو يعوض مكانه، بينما إذا خرج للجهاد والقتال فإنه من الممكن أن ينتصر ويعود بغنيمة الحرب.

قال الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ): (قدم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يهلكون أنفسهم بسببها مع أنه أوفق نظراً إلى التعريض بأولئك حيث إنهم لم يكفهم أنهم لم يجاهدوا بأموالهم حتى جاؤا وأظهروا الإسلام حباً للمغانم وعرض الدنيا)[٥].

وفي مورد آخر يكشف القرآن الكريم عن بعض النفوس المريضة من الذين يصل بهم الأمر الى الاعتذار عن الجهاد بسبب انشغالهم بالأموال وحفظها وتقديمه بالأهمية حتى على أهلهم وهو أمر مخالف لشأن العقلاء!، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا[٦]﴾، أي (لم يكن لنا من يقوم بحفظ ذلك ويحميه عن الضياع، ولعل

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ١١/ ٢٤.
(٢) الترمذي، السنن، ٢/ ٩٢.
(٣) ظ: ابن عاشور (ت:١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٠٧.
(٤) سورة الفجر، الآية: ٢٠.
(٥) الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٦/ ١٦٩.
(٦) سورة الفتح، الآية: ١١.

ذكر الأهل بعد الأموال من باب الترقي ،لأن حفظ الأهل عند ذوي الغيرة أهم من حفظ الأموال)[١].

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (أنفق وأيقن بالخلف من الله فإنه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضى الله إلاّ أنفق أضعافها فيما يسخط الله عزّ وجل)[٢].

فإذا استطاع المجاهد أن يغلب نفسه ويقدم ماله في سبيل الله تهيأ لتقديم الأغلى والأعز وهي نفسه في سبيل الله.

فإن المضايقة فيها أشد فلا يرضى المجاهد ببذلها حتى وهو مشارك في المعركة إلاّ في آخر المراتب[٣].

أما الآية التي تقدم فيها النفس على المال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ[٤]﴾.

فإن تقديم النفس على المال في هذا الموضع هو الأولى لأسباب نذكرها:

١. لأنه سبحانه وتعالى جعلها مورد العقد وطلب شرائها لنفسه وجعل ثمنها الجنة أما الأموال فهي تبع للنفس المشتراة والعبد وما يملك للمشتري.

قال ناصر مكارم الشيرازي: إن كل معاملة تتكون من خمسة أركان أساسية: المشتري والبائع والمتاع والثمن وسند المعاملة، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذه الأركان وجعل نفسه مشترياً والمؤمنين بائعين وأنفسهم وأموالهم متاعاً والجنة ثمناً والطريق للوصول إلى ذلك هو القتال في سبيل الله[٥].

(١) تفسير روح المعاني، ٢٦/ ٩٨.
(٢) الكليني، الكافي: ٤/ ٤٣.
(٣) ظ: ابو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٣/ ٣٤٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٥) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧/ ٣٢٩.

وقال الرازي (ت:٦٠٦هـ): فقدم ذكر النفس على المال لأن النفس أشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد[١].

فهي أعز ما يملك الحي لذلك جعل سبحانه وتعالى مقابلها الجنة وهي أعز ما يوهب.

٢. أنه سبحانه وتعالى ذكر لفظ القتال بدل لفظ الجهاد فصار الأمر مختصاً بالنفس فكان لابد من تقديمها على المال لأنها هي الفاعل والمؤثر في القتال، فالآية هنا لا تتحدث عن الجهاد بكل صورة وإنما تتحدث عن القتال الذي هو نوع من أنواع الجهاد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِّ الَّذِينَ يَشْرونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِّ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا[٢]﴾.

فالأجر العظيم في القتال في سبيل الله على أي حال من الاحوال، سواء استشهد المقاتل أو قاتل وانتصر ونال غنيمة الحرب.

٣. وبما أنه سبحانه وتعالى قد قدم عرضاً لجميع المسلمين وأعطى ثمنه الجنة، فإنه قدم النفس من باب المساواة لأن كل إنسان عنده نفسه التي يجاهد بها ولكن ليس كل المسلمين عندهم الأموال لتقديمها للجهاد بها.

قال ابن عرفة (ت:٨٠٣هـ): (إن كل أحد عنده نفس يجاهد بها وليس كل أحد عنده المال بل الأغلب كان في حقهم عدم الوجدان فبدأ بما هو الأغلب)[٣].

ثم أن الذي يملك المال، عندما يريد الجهاد فإنه يعلم أنه يمكنه تعويضه بالتجارة وغيرها خلاف النفس التي لا يمكن تعويضها فكان من باب العدالة أن يقدم النفس على المال، قال أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ): (وقدم الأنفس على الأموال ابتداء بالأشرف وبما لا عوض له إذا فقد)[٤].

(١) ظ: مفاتيح الغيب، ١١/ ٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٤.
(٣) ابن عرفة(ت:٨٠٣هـ)، تفسير ابن عرفة، ٢/ ٣٢٧.
(٤) البحر المحيط، ٥/ ١٠٥.

خاتمة...

وفي نهاية البحث وبعد هذه الرحلة في الانفاق والجهاد بالمال في القرآن الكريم وأقوال المفسرين أسطّر بعض الملخصات البحثية خاتماً بها البحث، وهي على النحو الآتي:

إن التشريعات الإسلامية لحفظ المال ليس لها مثيل في التشريعات الوضعية القديمة والمعاصرة.

لا يعني تقديمُ الجهادِ بالمالِ على الجهادِ بالنفسِ أنَّ الجهادَ بالمالِ أفضل، فالجهادُ بالنفس مُقدَّمٌ، إلا أنَّ المالَ مُحَبَّبٌ للنفوسِ، يحرِصُ كثيرونَ على جمعِه، فكان لابُدَّ من الجهادِ به تهذيباً للنفس البشرية.

إن جميع المشاكل التي يطرحها القرآن الكريم هي مشاكل واقعية ولا شيء يبعدها عن ذلك، ونقصد بواقعية هذه المشاكل ارتباطها بالإنسان بعلاقاته ثلاثية الأبعاد، أولاً: علاقته مع نفسه، أي طبيعة النفس البشرية (أو ما بأنفسهم، وفق تعبير القرآن)، وثانياً: علاقته مع أخيه الإنسان، أي طبيعة الاجتماع البشري عبر أشكال التنظيمات كافة، وأخيراً: علاقته مع النظام الكوني، والذي يقوم أساساً على أنه مُسخَّرٌ للإنسان بشروط التسخير الواردة في القرآن الكريم.

إن مفهوم (في سبيل الله) جاء لتحقيق ما تقتضيه المصلحة العامة، وتستدعيه البنية التحيتة للمجتمع المتكامل، فهو بمصطلحات اليوم يرادف تماماً مفهوم (الصالح العام).

للأنفاق آداب يجب على المنفق الألتزام بها، ومنها حرمة المنّ والأذى في الصدقات وفسادها بها وبطلان صدقة المان والمؤذي والمرائي بهما وحرمة الرياء وهي من الشرك.

يَدخلُ في ضِمْنِ الجهادِ بالمالِ بناءُ المساجدِ، والمدارسِ، والجامعاتِ، والمستشفياتِ، وبناءُ دور الأيتام، والمؤسسات التربوية وكُلِّ ما يَتِمُّ مِنْ خلالِه بناءُ المجتمعِ المسلمِ، ويَلْحَقُ بذلك كُلُّ أنواعِ الإنفاقِ كافّةً، بمَا في ذلك أعمالُ البِرِّ، وما يكونُ له أَثَرٌ بالغٌ في تأسيسِ جيلٍ إسلاميٍ مؤمن بقيم السماء. والحمد لله رب العالمين .

المصادر و المراجع

١. أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، (دت).

٢. الآلوسي محمد بن عبد الله الحسيني (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٣. الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح المشهور بـ(سنن الترمذي)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

٤. الجواهري (ت:١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام، دار الكتب العلمية، طهران، ط٣، ١٣٦٧هـ ش.

٥. الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ)، الوسائل، نشر مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦. ابو حيان التوحيدي (ت:٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٧. الرازي فخر الدين (ت:٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٨. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الحديث ، القاهرة، (دت).

٩. السبزواري عبد الأعلى الموسوي (ت:١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط٥، نشر دار التفسير، قم، إيران، مكتبة المهذب، النجف الأشرف، العراق، ٢٠١٠م.

١٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

١١. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن(ت:٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.

١٢. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار (ت:١٩٧٣م)، أضواء البيان، تحقيق: مكتب البحوث للدراسات، ١٩٩٥م.

١٣. الصدوق محمد بن علي (ت:٣٨١هـ)، معاني الأخبار، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ايران، ١٩٧٢م.

١٤. صلاح الخالدي (الدكتور)، القصص القرآني، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، دار البشير جدة، ١٩٩٨م.

١٥. الطبرسي ابو علي الفضل (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

١٦. الطوسي محمد بن الحسين (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.

١٧. ابن عاشور محمد بن الطاهر بن محمد(ت:١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.

١٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٠٧هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٩. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالوضعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٠. ابن عرفة محمد بن محمد المالكي(ت:٨٠٣هـ)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢١. عدنان خليفات (الدكتور)، حديث القرآن الكريم عن الانفاق، مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد الأول، ٢٠١٤، العدد ١.

٢٢. القرطبي محمد بن أحمد الانصاري (ت:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٣. القمي علي بن ابراهيم (ت:٣٢٩هـ)، تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، قم، ايران، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٤. ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.

٢٥. الكليني (ت:٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ايران، ط٥، ١٣٦٣هـ ش.

٢٦. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٧. محمد باقر الصدر نظرة عامة في العبادات، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٢٨. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٢٩. محمد رشيد رضا الحسيني (ت:١٩٣٥م)، المنار في تفسير القرآن، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٠. محمد عبده (ت:١٩٠٥م)، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم، ١٤٢١هـ.

٣١. مسلم بن الحجاج ابن مسلم النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، (د.ط)، دار الفكر، بيروت.

٣٢. مصطفى محمود (الدكتور)، الإسلام السياسي والمعركة القادمة، الناشر: دار أخبار اليوم، (دت).

٣٣. ابن منظور الافريقي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٣٤. الميرزا النوري حسين الطبرسي (ت:١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، نشر: مؤسسة

آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥.ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

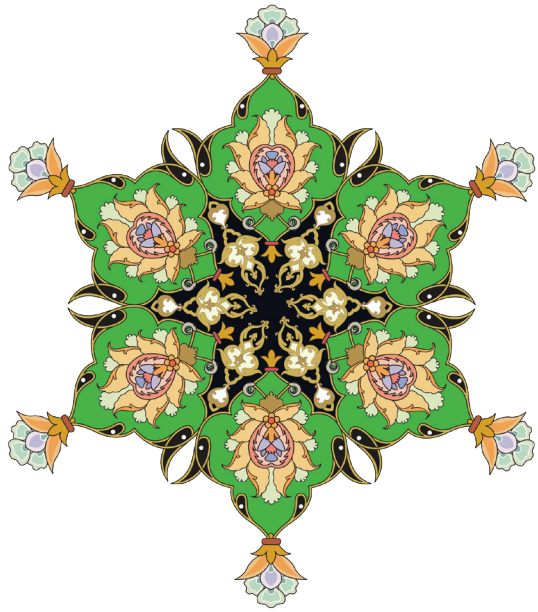

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون